فخر الأحفاد بمآثر الأجداد

من لبناني الى اللبنانيين

بقلم حضرة المؤرخ يوحنا السبلي المرسل اللبناني

لرجال لبنانَ القَدَرْ شدَّتِ المواطنُ والمهاجرْ
يا آل لبنان اذكروا م الفينيقِ نادرةَ النوادرْ
كانوا بنهضتهم الى م الأمجادَ بادرةَ البوادرْ
بلغوا اعالي مجدهم قبل القياصرِ والأكاسرْ
وضعوا الحروف فأحرزوا علم الأوائل للاواخرْ
وصبَوا الى الاسفار فاخـ ـترعوا الملاحة للمسافرْ
لولاهمُ كولمبُ ما أذ دَخر المفاخرَ بالمواخرْ
نشروا الحضارةَ بالبِنا عة والزراعة والمتاجرْ
بين المشارق والمغا رب واليامن واليسارْ

...

منهم قراعنةُ الرُعا ة رجالُ سيطرة الياطرْ(١
ملكوا الرقابَ يزينُهم تاجٌ ترصّعَ بالجواهرْ
خفقت بنودُ عروشهم بين الاسنّة والبواترْ
فعروشهم في صُوعَن شدَهت مناظرُها النواظرْ
وقلوبهم رقصت على أرزاتنا رَقصَ الزرازرْ
تاقوا الى لبنانهم تَوقَ الظباء الى الهوامرْ
اهرامهم لبثت بوا دي النيل عِبرةَ كل عابرْ
اما هياكلهم ففي لبنان مشدَهُ كلّ ناظرْ
وجُبَيلُ قبلةُ حجّهم وهضابُ «أفقاها» شعائرْ

١) كانت سلالة القراعنة المعروفة بالهكسس اي الرعاة من عنصر سامي او عربي

سادوا وشادوا واقتنوا ما فاق مأملَ كل خاطرْ
ومَضَوا وقد تركوا لنا الآثارَ عُنوانَ المآثرْ

...

وملوكُ قَرْطاجنةٍ فرعٌ من الفينيق ناضرْ
ضَفَرُوا أكِلَّتَهم وأَنْسِبالُ منهم خيرُ ضافرْ
في كل جيلٍ ذكرُ أَنْسِبالَ كالامثال سائرْ
أسدُ الاسود اخو القيو دِ ابو الجنود يَدُ العساكرْ
قد عاشَ اشهرَ قائدٍ بين المعارك والمعاكرْ
كم عارَكَ الرومان فاعتبروا مَعاركَهُ تجازرْ
في الحرب صوتُ نبالهِ كالرعد يقصف بالمواطرْ
ووعيدهُ يوم الوغا كالبرق يلمح أمضى كل باترْ
ولصورته في الكرّ زجرةٌ لها فعل القنابرْ
قد ضمّ من ابنائها جيشَ التطوّعِ من قَساورْ
فاتاهُ اكرمَ جحفلٍ زان المُسكّرَ والعساكرْ
وانقاد طوعَ يديهِ واقتحمَ المخاطر خيرَ ظافرْ
ولذاك ذا الصنديدُ حلّ م القاهريهِ اشدَّ قاهرْ

...

تجّارُ صيدا كلّلوا م الفينيقَ بالفجم الزواهرْ
تجروا واصغرُ تاجرٍ منهم يوازي الفَ تاجرْ
في البحر غاصوا باللآ لىء ثم خاضوا للذخائرْ
غمروهُ حتى قيل صا رالغامر الغمرات غامرْ
جعلوا صفوف سفينهم بين الشواطئ والجزائرْ
مثلَ البَرازخ والعما بر او كقنن الغوامرْ
والغمرُ خطّط بينها الأ م مواءَ تخطيطَ الماطرْ
سادوا فسامُوا البحر مَدّاً ثمّ جزراً وهو زاخرْ
ساموهُ مدّاً بالاوا مر ثمّ جزراً بالزواجرْ

بل سكنت أمواجهُ امواجُ فلكهم الزاخرْ
ملأوهُ فلكَ تجارةٍ هدأت بها اللُّجَجُ الزواخرْ
شبكتْ ثقوبُ شباكهم حيتانهُ شبكَ العناصرْ
فتمتَّعوا بزيوتها وعظامها مثل الكواسرْ
وتقوَّتوا بلحومها قُوت البواكر والسوافرْ
ولذاك قال البحر: «يا صيدا اخجلي فالحكم جائرْ»

...

تجَّارُ صورٍ بعدهم عقدوا على السَّبق الخناصرْ
قرعوا لامرهم ظنا بيبَ العزيمة للتفاخرْ
ان العزيمة عندهم حمراء نادرةُ النظائرْ
فتوارثوها كابراً عن كابرٍ صفو الاكابرْ
جابوا بسيطةَ عصرهم والعزمُ مأمورٌ وآمرْ
نشروا بضائعهم بها والعزمُ منشورٌ وناشرْ
ملأت قوافلهم فيا فيها وفلكهمُ المغامرْ
رسمت قوافلُ بيدهم خطواتها رسمَ المناظرْ
خاضوا البحار وفلكهم ملأت شراعاتها بَنادرْ
من حضرموت وعدنها ملأوا عنابرهم عنابرْ
ونُضارُ ترشيشَ اصطفوا منهُ افلكهم الاناجرْ
فضلاً عن المشحون منهُ وهو ما يُنبي البصائرْ
حاكوا البحارَ حياكةً حسناء تشدهُ كلَّ باصرْ
نسجوا خطوطَ لجاجها نسجَ الخيوطِ من الحرائرْ
وسفينهم مَكوكها بين الوارد والمصادرْ
فكأنها من أرجُوا نِ نسيجهم نُسِجَت مَساطرْ
واستعمروا الآفاق يبـ ـنونَ المدائنَ والمساكرْ
وبَنَوا معاملَ للنسيـ ـجِ وللزُجاجِ وطبخ آجُرْ
ارضُ المعادنِ صيّرو ها كالذخائر بالخفائرْ

هذا ولما صادفوا الا م بريزَ في أُوفيرَ وافرْ
جمعوهُ حتى احرزوا ما ليس يخطرُ بالخواطرْ
صاغوهُ فانتَعلوهُ بل قد نعّلوهُ ذواتِ حافرْ
فضلًا عن المصكوك منـ ـهُ أو المَصوغِ من الضفائرْ
ومن الخواتم والسلا سلِ والخلاخل والاساورْ
ومن الرصائع للاسرّ مةِ والعروش أو الستائرْ

. . .

فكفى عن الفينيق ما اوردتُ تذكرةً لذاكرْ
ولهم بتعدادِ المفا خر اوّلٌ من دون آخرْ
فبمثلهم يا اهلَ ودّ م ي فليفاخرْ مَن يفاخرْ
«افلسم اعفارهم» يا آل لبنان الازاهرْ
فتذكّروا الاجداد يا م اخادُ فخرًا للذواكرْ
فاذا ذكرتمُ فاذكرو هم بالمباخر والمعاطرْ
فتنبّهوا وتشبّهوا وتنزّهوا عن كلّ صاغرْ
وتأثّروا آثارَهم كأجلّ ماثورٍ وآثرْ
حاشا لكم ان تُهملوا شرف المآثر للمآثرْ
أصرَتكمُ يا قومُ بالـ ـفينيق آصرةُ الأواصرْ
لبنانهم لبنانكم وهمُ وانتم خير عامرْ
وعليهمِ وعليكمُ بالمجد ظلُّ الارز آزرْ
ونسيمهُ بانوفهم وانوفكم كالمسك ذافرْ
لو كان كلٌّ منهمُ في عصركم عصر البواهرْ
لتقصّدوا قصَبَ السبا قِ واحرزوهُ بلا مناظرْ
فعلى مثالهمِ احفظوا بسباقكم نظَرَ المعاصرْ
راعوا حضارة عصركم وتجرّدوا اسنى المحاضرْ
فتسنّموا متنَ الفخا رِ في المكاتب والمحابرْ
وتعمّدوا فصل الخطا بِ على المنابر في الدوائرْ

ان شئتمُ نشر الكما لِ تُفاخرون بكل فاخرْ
فكِلُوا الى الانجيل تهـ ـذيبَ البواطن والظواهر
فهو الضمين بنشر ما يطوي الكمالُ من السرائرْ
دستورُ ترقيةِ المما لكِ في العظائم منهُ صادرْ
لا تردروهُ فانهُ السـ ـقهّار للدُوَل القواهرْ
كم دولةٍ جعلتهُ مر مًى للقذائف والصواهرْ
فأبادها مثلَ العُصا فة يومَ عاصفةِ البيادرْ
كم فيلسوفٍ أمَّ نقـ ـضَتهُ بسفطة المُكابرْ
ورَنا اليهِ بظنهِ شَرَرًا تبدّدهُ الصوافرْ
فرآهُ شمسًا للحقا ئق تستديرُ بها البواصرْ
ولذاك صدّ عن المبا حثِ للشتائم والتهاترْ
ولقد رآها لا تقا ومُ في الجدال صفيرَ صافرْ
فرَغَا وأتخَنَا مبا دىء كلُّها نفثاتُ شاخرْ
منها التأهلُ بأنّا ع لاح مجموعَ المآثرْ
فالّلاشريعةُ فيه قد وجبَتْ لتحرير الضّمائرْ
واللاشريعةُ مبدأٌ كالناهقيّةِ للحمائرْ
هذي نتيجة علمِ مبـ ـذارٍ من الانجيل نافرْ
أن تُنزلَ الانسان مستـ ـزم لةَ البهائم بالمعايرْ
اين المطامع والشنا ئع والفظائع في الكبائرْ
اين البلابل والقلا قل والمشاغرُ والشّنائرْ
اين التهتُّك والخلا عةُ والمفاسدُ والمعاهرْ
اين التباهي بالعيو بِ واينَ مَسْرح كلِّ فاجرْ
اين المظالمُ في القضا ء واين مرمحُ كل غادرْ
هذي نراها حيثما الا نجيل يُنبَذ بالزواجرْ
انجيلكم يعلو ولا يُعلى فيهِ الحقُّ ظاهرْ

اين الامانة والوفا ء واين نصرةُ كل ناصرْ
اين السكينةُ والسلا مُ واين بهجةُ كلّ خاطرْ
اين المحبّة والخلو صُ واين ملجأُ كلّ قاصرْ
اين التهلّل في الخطر بِ واين نفحةُ كل صابرْ
اين القداسة والصلا حُ واين عفّة كل طاهرْ
اين العدالة في القضا ء واين رحمة كلّ قادرْ
هذي نراها حيثما الا م نجيل يَنفُذُ بالاوامرْ

*

اسمع كلامي يا ابن لبـ ـنان الموطّنَ والمُهاجرْ
بتلاوةِ الانجيل لا بطلاوة التبجيل سامرْ
طوبى لمن يُحيي بها كلَّ الليالي بالمساهرْ
وبصفوة الآداب لا بصفاقة الاثواب فاخرْ
وتجنّبنَّ المسكرا ت فانّها سمُّ المآثرْ
ودَعِ السرَعَ في الفوا حش للخنافس في المقاذرْ
فضّل مُجالسة الذنا بِ على مُجالسة المقابرْ
وتيقّظَنَّ الهمَّ تِر ياقاً تجاهَ فسادِ كافرْ
فتسلّحَنَّ برقّةٍ والكلُّ بالايناس ساثرْ
مَسكُ الكتيبِ للصلا ةِ اهمُّ من مسك الدفاترْ
ان الدفاتر بالصلا ةِ مَضمّ مَجموع الذخائرْ
فتمسّكنَّ بذا وتا فسَ في التبرّع كلَّ باشرْ
وابنِ المدارسَ كالتا رسِ للصغار وللصغائرْ
واستبدِ الدنيا لديـ ـنكَ مستعدًّا للاواخرْ
متذكّرًا ما قالهُ قسُّ البلاغة فهو باهرْ
« لمّا رايت مواردًا للموت ليسَ لها مصادرْ »
« ايقنتُ اني لامحا لة حيث صار القوم صائرْ »